# الإعلام الدعائي ودوره التضليلي في نشر العقيدة المذهبية للدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي (296-358هـ/909-968م)

**د. أحمد عبد اللّه إسبيطة**
**كلية التربية - جامعة مصراتة**
a.esbita@edu.misuratau.edu.ly

الاستلام 2023.09.14 النشر 2023.10.10

**الملخص:**

شهدت بلاد المغرب الإسلامي مع نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري قيام أول دولة شيعية على رقعتها الجغرافية الممتدة من برقة حتى بلاد المغرب الأقصى، ألا وهي الدولة العبيدية الشيعية الإسماعيلية ذات الفكر الرافضي، والتي حكمت المنطقة حكمًا مباشرًا ما بين (296- 358هـ)، وحاول رجالها نشر مذهبهم بمختلف الطرق، مستعملين عدة وسائل، من أشهرها استخدام الوسائل الإعلامية الدعائية الكاذبة؛ لتضليل العامة؛ للترويج لمذهبهم، وزرعه بين صفوف الناس؛ لكي يتسنى لهم تحقيق حلمهم الكبير بإقامة دَوْلَتِهِمْ التي كانوا يدعون لها في مرحلة الستر، مدعين أن إمام العدل قد حان وقت رجوعه وخروجه ليملأ الأرض عدلاً، بعد أن كانت تعم بالجور؛ لكنهم اصطدموا بصمود ومقاومة المالكية لهم خاصة في القيروان، حيث دارت معظم أحداث الصراع بين الشيعة الوافدين الجدد على بلاد المغرب، وعلماء وفقهاء السنة المالكية المتمركزين بالقيروان خاصة، الذين قاوموا المد الشيعي وعنفوانه بطرق جمعت بين المقاومة السلمية والعلمية والجدلية؛ بل اعتمدوا على المقاومة المسلحة في سبيل التصدي لجرائم العبيديين الشنيعة في حق المالكية خاصة وأهل السنة والإسلام عامة.

**الكلمات المفتاحية:** الدولة العبيدية، الإعلام التضليلي، الدعاية المذهبية، مناظرات مع المالكية.

# The propaganda media and its misleading role in spreading the dogmatic ideology of the Al-ubaidiya state in the Islamic Maghreb (296-358AH/909-968AD)

**Ahmed A. Esbita**
Faculty of Education, Misurata University, Libya

**Abstract:**

By the end of the third century and the beginning of the fourth century AH, the Islamic Maghreb witnessed the establishment of the first Shiite state in its geographical area from Barqa to the Far Maghreb, which is the Ismaili Shiite Ubaid state with a Rafidite thought, which the region ruled a direct rule between (296-358 AH), Its men tried to spread their doctrine in various ways, using several means, the most famous of which is the use of false propaganda media; To mislead the public; To promote their doctrine and plant it among the ranks of people; In order for them to fulfill their great dream of establishing their countries that they were calling for in the concealment stage, claiming that the imam of justice had come at the time of his return and his exit to fill the land fairly, after it was wounded by injustice; But they collided with the steadfastness and resistance of the Malikis for them, especially in Kairouan, where most of the events of the conflict between the new arrivals of the countries of the Maghreb, and scholars and scholars of the Maliki Sunnis stationed in Kairouan, in particular, who resisted the Shiite tide and its violence in ways that combined peaceful, scientific and dialectic resistance; Rather, they relied on the armed resistance in order to confront the crimes of the heinous Ubaidis against the Malikis, especially the Sunnis and Islam.

***Keywords*:** Al-ubaidiya state, misleading media, religious propaganda, debates with the Maliki school of thought.

**أسباب اختيار الموضوع:**

رغبتي في دراسة هذه الحقبة الزمنية التي شهدت صراعًا مذهبيًّا وسياسيًّا شديدين، استخدمت فيه الدعاية الإعلامية لغرس العقيدة المذهبية.

**أهمية الدراسة:**

1- إبراز عدة جوانب من تضحيات أهل السنة؛ لكشف قوة مواجهتهم لخطر المد الرافضي، ربما تعطي حافزًا لأجيالنا القادمة للسير على نفس الطريق الذي سلكوه.

2- المساهمة في إظهار ردود علمية رصينة تنقذ الأجيال القادمة من الضياع والانجرار وراء الطائفية والمذهبية المظللة.

3- فتح الطريق أمام دراسات أعمق وأدق، قد تظهر لنا منبرًا إعلاميًّا صادقًا وهادفًا؛ يحافظ على عقيدتنا السمحة والخالية من البدع والخرافات.

**فرضية الدراسة:** تتطلب وجود قاعدة فقهية ثابتة تتمسك بالكتاب والسنة، وتضع الحلول المناسبة؛ لعودة الخلف لنهج خير السلف.

**إشكالية الدراسة:**

للتركيز على الدور الذي قام به العبيديين في نشر عقيدتهم المذهبية؛ لا بدّ من تقديم طرح شاملٍ لإشكالية هذا الموضوع، وهي: إلى أي مدى نجح العبيديين في الترويج لعقيدتهم المذهبية بعد اعتمادهم على وسائل إعلامية ودعائية مغرضة؟

**أهداف الدراسة:**

يمكن تحديد أهداف الدراسة في التوصل إلى الآتي:

1- المؤثرات المذهبية التي تأثرت بها الحياة الفكرية في الفترة المحددة.

2- دور الإعلام الدعائي في زرع العقيدة المذهبية.

3- دور المؤسسات الدعوية والدعاة في مرحلة التستر ومرحلة الظهور، ومعرفة مدى مساهمتهم في تأسيس السلطة السياسية والقاعدة الدينية والاجتماعية.

**منهج الدراسة:**

من أجل تحقيق هذه الأهداف تم اعتماد المنهج السردي التحليلي القائم على جمع المادة ونقذ مصادرها ومراجعها، وتوثيقها وترتيبها، وتحليل الأحداث وربطها؛ لضمان تسلسلها وتماسكها.

**الدراسات السابقة:**

عالجت بعض الدراسات السابقة جانبًا لا بأس به من الدعاية السياسية، ولم تلامس الجوانب المذهبية إلا في شذرات بسيطة، وغاب عن بعضها إيفاد القراء بتضحيات علماء السلف وردودهم المفحمة في مواجهة التشيع.

وهذا ما سأحاول إضافته بقدر المستطاع في ثنايا هذا البحث، وأسأل- الله تعالى- أن يوفقني إلى ما أصبو إليه؛ للدفاع عن شرع الله الحكيم وسنة نبينا الكريم، عليه أفضل الصلاة والسلام، والحفاظ عليهما من التدليس والتأسيس والخلع الذي تفنن فيه الشيعة الروافض.

**مقدمة:**

من سمات عصر العبيديين في بلاد المغرب: التخطيط الدعائي المنظم، والدقة والسرية التامة في نشر دعوتهم التي كان يقودها دعاة متمرسين ومتدربين يتقنون فن الدعاية والتضليل؛ وقد استخدموا شتى الأساليب لكي يتحقق حلمهم المنشود في إقامة دولتهم، ولكي نتعرف على الأساليب التي روج لها الشيعة العبيديون، علينا أن نعرج أولا للتعرف على مفهوم الدعاية؛ حتى تكتمل الصورة ويتضح لنا دور الإعلام الدعائي في صناعة الدول.

**أولاً: الدعاية لغة.**

مصطلح الدعاية لغةً: هو لفظ اشتق من كلمة دعوة المرادفة لها قديمًا، فقد جاء تفسيرها عند ابن منظور (د.ت) " أن الدعوة من دعا الرجل دعوًا ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانًا، أي: صحت به، واستدعيته"، هذا هو الأساس المعجمي للمادة الذي اشتقت منه الكلمة، ويتابع ابن منظور: "والدعاة قوم يدعون إلى بدعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داعٍ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دِين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة "(1386/3).

**ثانيًا: الدعاية في الاصطلاح.**

الدعاية هي:

"الجهود الاتصالية المقصودة والمدبرة التي يقوم بها الداعية؛ مستهدفًا نقل معلومات، ونشر أفكار واتجاهات معينة، ثم إعدادها وصياغتها من حيث المضمون والشكل وطريقة العرض، بأسلوب يؤدي إلى إحداث تأثير مقصود ومحسوب ومستهدف على معلومات فئات معينة من الجمهور وآرائهم واتجاهاتهم ومعتقداتهم وسلوكهم؛ وذلك كله بغرض السيطرة على الرأي العام، والتحكم في السلوك الاجتماعي للجماهير بما يخدم أهداف الداعية ودون أن ينتبه الجمهور إلى الأسباب التي دفعته إلى تبني هذه الأفكار واعتناق هذه الآراء والاتجاهات والمعتقدات، دون أن يبحث عن الجوانب المنطقية لها"(عبد المقصود، 2014م، 20/1).

نستنتج من ذلك أن الدعاية قوة كبيرة من القوى التي تستطيع أن تغير ميزان العالم في جميع ميادين الحياة، فهي تتلون كجهود دعائية إعلامية، فبعضها "دعاية بيضاء"، وهي الواضحة المكشوفة المصدر التي تسعى إلى إحداث تأثير إيجابي طيب على أفراد الجمهور عن طريق نقل معلومات وحقائق تؤكد على الجوانب المشرقة. (عبد المقصود، 2014م، 17/1-18).

وبعضها سوداء، فهي تضليلية تتيح لنفسها تحريف الأحاديث واختلاق وتفسير الصحيح على الوجه الذي قيلت فيه (حمزة، 2001م، ص62). مثل الترويج لفكرة أو عقيدة أو مذهب، وذكر أكاذيب وإشاعات ومعلومات مضللة، عن طريق التأثير في عواطف الفرد أو الجماعة واستهوائها بقدر المستطاع (حمزة، ص108؛ عبد المقصود، 2014م، 17/1).

وهذا النوع الأخير تفنن فيه الرافضة العبيديون، وعملوا به في بلاد المغرب الإسلامي وغيرها من البلدان التي وصلوا إليها، وهو ما سنعرج عليه في جميع ثنايا هذا البحث.

**ثالثًا: التشيع وبداية نشأته.**

حقيقة الأمر أن مصطلح الشيعة مقترن ببداية أطوار نشأتهم، وما لحقها من التطور العقدي لهم؛ لأنه من المعروف أن عقائد الشيعة ونهجها في تغير مستمر، فالتشيع في عهده الأول غير التشيع فيما بعد؛ ولهذا كان في الزمن الأول لا يسمى الشخص شيعيًّا إلاّ من قدم عليًّا على عثمان؛ ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم عليًّا على عثمان، فعلى هذا الأساس يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول هو: أنهم الذين يقدمون عليًّا على عثمان فقط (ابن تيمية، 2004م، 153/3). ولهذا ذكر ابن تيمية (1986م): "أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد عليّ كانوا يفضلون أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما" (84/2).

إذًا التشيع درجات، وأطوار، ومراحل، وفرق وطوائف؛ ولهذا يلحظ من بعض التعريفات الواردة في المصادر التاريخية أو اللغوية؛ أنها قد دأبت إلى القول في التعريف بالشيعة الإمامية بأنهم أتباع عليّ -رضي الله عنه-، وهذا القول يخالف إجماع الأمة كلها، فالحكم بأن يكون عليّ شيعيًّا يُرى بما يراه الشيعة، هذا حكم لم يجانبه الصواب؛ فعليّ بريء مما يروج له أصحاب العقائد الشيعية فيه وفي بنيه؛ ولهذا وجب الاحتراز من هذه الأقوال تجنبًا للانزلاق في بعض المفاهيم الخاطئة، فيقال: هم الذين يزعمون اتّباع علي، حيث إنهم لم يتبعوا عليًّا بتاتًا، وليس عليّ على ما يعتقدون (الفقاري، 1998م، 68/1). أو يقال بأنهم المدعون التشيع لعليّ، أو

الرافضة، وقد عبّر عنهم بعض أهل العلم بقولهم: الرافضة المنسوبون إلى شيعة عليّ (ابن تيمية، 1986م، 389/3)، فهم ليسوا على منهج شيعة عليّ –رضي الله عنه– المتبعين له؛ بل هم أدعياء ورافضة (الفقاري، 1998م، 69/1)، ولما كانت كلمة الرفض مرادفة للتشيع في بعض الأحيان، لا بد من تبيان بداية ظهور كلمة الرفض.

**رابعًا: الرفض في اللغة.**

هو: الترك، يقال رفضت الشيء، أي: تركته (ابن زكريا، 1979م، 422/2).

**خامسًا: الرافضة في الاصطلاح.**

هي إحدى الفرق المنتسبة لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر الصحابة –رضوان الله عليهم جميعًا–؛ وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم (الرحيلي، 1997م، ص25).

اتفق جمهور المحققين والباحثين أن إطلاق هذه التسمية يعود تاريخها إلى زيد بن علي حينما خرج على هشام بن الملك في سنة121هـ؛ لرفضهم لزيد بعد أن كانوا في جيشه، وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين (أبي بكر وعمر) –رضي الله عنهما–، والطعن فيهما، فأنكر على ما سمعه من بعضهم، فنهاهم عن ذلك، فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم: رفضتموني، فيقال: إنهم سموا رافضة لقول زيد لهم: رفضتموني (الذهبي، 1988م، 106/8).

وهذه التسمية يتنصل منها رافضة هذا العصر، ولا يقبلونها، ويرون أنها من الألقاب التي ينبزهم بها مخالفوهم (الأمين، 1983م، 20/1)؛ ولهذا يتسمؤن اليوم بالشيعة، وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة، وساد هذا المصطلح عند بعض الكتاب والمؤرخين، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية، وفي الواقع أن الشيعة مفهوم عام يشمل كل من شايع عليًّا، رضي الله عنه (الشهرستاني، 1998م، 169/1). فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح؛ لأنه يدخل فيه الزيدية (الرحيلي، 1997م، ص29).

وعليه فإنه من الأجدر أن ينادى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقي الذي اتفق عليه أهل العلم، وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق؛ لما في ذلك من الخلط واللبس، وإذا ما أطلق عليهم مصطلح (التشيّع)، فيلزم أن يقيد بما يدل عليهم خاصة ويميزهم عن أهل الفضل ممن يحترمون الصحابة والشيخين، فيقال: (الشيعة الإمامية)، أو (الشيعة الاثنا عشرية)، على ما أدلى به العلماء عند ذكرهم (الرحيلي، ص32).

**سادسًا: ظهور التشيع في المغرب.**

اتخذت المرحلة الأولى من الدعوة الإسماعيلية شكلاً سريًّا؛ وذلك خوفًا من اضطهاد العباسيين لهم، واتخذوا مراكز بعيدة عن السلطة، وجعلوا من مدينة سليمة بالشام –من ناحية حماة– دارًا للهجرة التي أصبحت مركزًا سرّيًّا لهذه الدعوة. وهم يتفقون مع الاثني عشرية حتى إمامة جعفر الصادق؛ إلاّ أنهم يرفضون إمامة موسى الكاظم، ويجعلونها في أخيه إسماعيل، حيث تقف في تسلسل أئمتها عند إسماعيل بن جعفر الإمام السادس، وبهذا كانت تسميتها بالسبعية (البغدادي، 1988م، ص61–62–64). وظلت الإمامة تنتقل سرًّا إلى أن جاء عبيد الله المهدي، فأعلن نفسه إماما، وأطلق الدعاة في كل الأقطار، وأسس الدولة العبيدية في المغرب، ثم نقلها المعز لدين الله إلى مصر (الرافعي، 1988م، ص233–234).

**سابعًا: وسائل الدعائية والتضليل للفرقة الشيعية.**

**أ– التستر والاختفاء:**

اتخذ الشيعة ألقابًا وأعلامًا يتسترون من ورائهم؛ بقصد تمويه وتضليل أعدائهم كما يظنون، فتسمى أول خلفائهم بعبيد الله استتارًا، وكان داعيتهم عبد الله الشيعي يلقب بالمحتسب؛ لعمله بالحسبة في البصرة، والمعلم؛ لأنه كان يعلم الإمامية، وكذلك بالأهوازي والمشرقي والصنعاني (ابن خلكان: 1969م، 192/2؛ ابن الأثير، 1987م، 450/6).

**ب– اختيار المناطق البعيدة لنشر الدعوة:**

وجه العبيديون نشاطهم الدعوي نحو المناطق الريفية والجبلية، وابتعدوا عن المناطق العامرة حتى لا تطالهم يد السلطة، حيث تحكم العصبية القبلية مجتمعات الريف وتنظم حياتها، فسّهل ذلك عليهم تطويع هذه العصبية لأهداف الدعوة، بتحويل العصبية القبلية والتنافس على الزعامة بين أبناء القبيلة الواحدة إلى عصبية مذهبية وولاء سياسي. وتمكنوا بالفعل من استغلال هذا الصراع والفرقة والتنافس على المشيخة بين كبار رجال قبيلتي غشمان ولهيصة، واستطاعوا جمع كلمتهما على دعوتهم (مجاني، 2010م، ص79).

**ج – إرسال الدعاة للترويج للمذهب في بلاد المغرب الإسلامي:**

كانت توكل عملية الإشراف على الدعوة إلى الداعي، وهو من ألقاب القائمين بالدعوة في مختلف العالم الإسلامي، ويدخل اللفظ أيضًا في تكوين بعض الألقاب المركبة، مثل: الداعي إلى الحق، وداعي دعاة العراقيين.

وكان رجال ومنظري مركز الدعوة في سلمية قد أرسلوا إلى المغرب الداعيَيْن أبا سفيان والحلواني، وقالوا لهما: "إن المغرب أرض بور فاذهبا حتى يجيء صاحب البذر" (ابن خلدون، 2000م، 41/4)، فذهبا إلى هناك وأخذا يدعوان إلى مذهب الشيعة، وقد تمكنا بالفعل من استمالة كثير من أفراد قبيلة كتامة البربرية وغيرها إلى محبتهم، وظلا هناك إلى أن ماتا، (المقريزي، 1996م، 41/1)، غير أن الفضل في نجاح الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب إنما يرجع إلى الداعية عبد الله الشيعي، المؤسس الحقيقي للدولة العبيدية بالمغرب (العبادي، د.ت، ص224)، إذ يذكر أن أبا عبد الله الشيعي سار إلى ابن حوشب الكوفي (ت:303هـ/915م)، القائم ببلاد اليمن، وأصبح من كبار أصحابه، وفي أثناء إقامته ببلاد اليمن ورد إلى علي بن حوشب خبر موت الحلواني وأبي سفيان، عند ذلك أرسل ابن حوشب أبا عبد الله الشيعي، وكلفه بالدعوة للمذهب الإسماعيلي في تلك البلاد، قائلاً له: "إن أرض كتامة من المغرب حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لهما غيرك، فبادر فإنها مُوَطَّأة ممهدة لك"(ابن الأثير، 1987م، 450/6). وتابع الشيعي تنفيذ ما طلب منه، ودخل عدة مدن بالمغرب، وبعد هذه الانتصارات، أرسل أبو عبد الله المهدي بسليمة، يخبره بما أنجزه ويدعوه للقدوم إلى بلاد المغرب (ابن خلدون، 44/4–46). وبعد قدومه إلى بلاد المغرب وبشيء من سرية الإعداد والتنظيم نجح عبيد الله المهدي في اعتماده على نوع من الدعاة في طور الدعاية المذهبية، تم اختيارهم بدقة من مدارس دعوته، (حسن، 1981م، ص332).

**د– استخدام الاتصال الشخصي واستعمال السحر والشعوذة والتنبؤات والأحلام:**

استغرقت المرحلة الدعائية لجذب الأنصار في بلاد المغرب ثلاثة أعوام من سنة (288–291هـ/900–903م)، استخدم الداعي فيها قدرته على التنبؤ كوسيلة لإبهار عقول الناس، فتهافت كل منهم على إنزاله في بيته، وبلغ في نفوسهم مبلغًا عظيمًا؛ وذلك بفضل ما استخدمه من مكايد وحيل، منها السحر والطلاسم، التي تذهل العقول وتبهر النفوس، ولم يلبث أن كشف

عن نواياه لرجال كتامة، فأخبرهم بأنه صاحب البذر الذي ذكره لهم أبو سفيان والحلواني، فازدادت محبتهم له، وتعظيمهم لأمره، وأتته القبائل من كل مكان، ويروى أنه حينما نزل في إفريقية سأل: أين فج الأخيار؟ فعجبوا لذلك؛ إذ إنهم لم يكونوا قد ذكروه له قبل ذلك، فدلوه عليه فقال: ما سمي إلاّ بكم، وقد جاء في الآثار، أن للمهدي هجرة عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل الزمان، قوم اسمهم مشتق من الكتمان، أي: كتامة، وبخروجكم في هذا الفج سمي فج الأخيار (ابن الأثير، 451/6).

بهذا الأسلوب التدليسي المبني على التمويه والادعاءات الكاذبة بإغراء المستجيبين وتشويقهم وإلهاب رغبتهم بالدخول في الدعوة بدأ أبو عبد الله في بث دعوته، معتمدًا في جذب البربر على التنبؤ؛ ولكنه واجه صعوبات كثيرة، انتهت بانتصار الفريق الذي يحميه.

**هـ- الخطبة والدعاء:**

تعد الخطبة من الوسائل الإعلامية التي اعتمدها العبيديون لنشر مذهبهم، فقد أولوها اهتمامًا خاصًّا؛ لأنها تمثل صوت السلطة المعلن عن توجهاتها وتحديد مساراتها. لهذا عندما دخل عبيد الله المهدي رقادة، ودعي له بالإمامة، أصدر في اليوم الثاني من انتصابه للسلطة توقيعًا يأمر فيه خطيبي جامع رقادة والقيروان بالدعاء له، وأنفذ الدعاة لكل الأقطار ليدعوا له على منابر المساجد (مجاني، 2010م، ص251). وهذا يبيّن لنا الدور الإعلامي للمساجد في إعلان التحولات الناتجة على التغير في هرم السلطة ونقل مبادئ وعقائد السلطة الجديدة.

**و- تأويل الآيات القرآنية للدعاية للمذهب الشيعي:**

أجمع كثير من علماء الشيعة على تأويل عدد من الآيات القرآنية التي تتماشى مع أهوائهم ووفق ميولهم، وعليه فإننا نورد بعضًا من تأويلاتهم الباطلة لآيات العزيز الحكيم، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما أوله علماء الشيعة في إفريقية للدعاية المذهبية ما يأتي:

**- تأويل بعض الآيات القرآنية لترسيخ الوصاية للإمام:**

وهي من أهم مبادئ العقيدة الشيعية الوصية للإمام علي -رضي الله عنه-، حيث استعان الشيعة بكل سبيل لتأكيد هذا الأمر، فقاموا بتأويل بعض الآيات القرآنية لترسيخ هذا المعنى في ذهن الناس وفي ذلك يقول أحد كبار منظري الفكر الإسماعيلي، وداعي دعاة العبيديين القاضي النعمان (1963م) "وروينا أيضًا عن علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- أنه قال: لما أنزل

الله عز وجل: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ} (الشعراء، 213). جمع رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– بني عبد المطلب...، وهم بضع وأربعون رجلاً، فأكلوا حتى صدروا، وشربوا حتى ارتووا، وفيهم يومئذ أبو لهب، فقال لهم رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–: يا بني عبدالمطلب، أطيعوني تكونوا ملوك الأرض وحكامها، إن الله لم يبعث نبيًّا إلاّ جعل له وصيًّا ووزيرًا ووارثًا وأخًا ووليًّا، فأيكم يكون وصيّي ووارثي، ووليّي، وأخي، ووزيري؟ فسكتوا، فجعل يعرض ذلك عليهم رجلاً رجلاً ليس منهم أحد يقبله حتى لم يبق منهم أحد غيري، وأنا يومئذ من أحدثهم سنًّا، فعرض عَلَيَّ، فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: نعم أنت يا علي، فلما انصرفوا قال لهم أبو لهب: لو لم تستدلوا على سحر صاحبكم إلاّ بما رأيتم أتاكم بفخذ شاة وقدح من لبن فشبعتم وروي. وجعلوا يهزؤون ويقولون لأبي طالب: قد قدم ابنك اليوم عليك" (1/15–16).

وجاء في تأويلهم لسورة المائدة وتفسيرها بأنها نزلت لتثبت أن الولاية من بعد الرسول –صلى الله عليه وسلم– لعليّ، مستدلين بحديث يقولون فيه: إن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– كان يصلي، وبالأخص كان راكعًا، فجاء فقير يسأل الصدقة أو الزكاة، فمد عليّ يده وفيها خاتم وأخذ الفقير الخاتم من يد علي، فأنزل الله الآية الكريمة في هذا الشأن؛ فاستدلوا بما جاء فيها، وقالوا: ما أعطى الزكاة وهو راكع إلا عليّ. وفي ذلك ينقل القاضي النعمان (1963م) عن أبي جعفر الصادق قوله: "أمر الله –عز وجل– بالولاية فقال: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ} (المائدة،57)، ففرض الله ولاية ولاة الأمر، فلم يدروا ما هي؛ فأمر الله نبيه –عليه السلام– أن يفسر لهم ما الولاية مثل ما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله –عز وجل– ضاق به رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– ذرعا وتخوفًا أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبوه، فضاق صدره وراجع ربه فأوحى إليه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ} (المائدة، 67)، فصدع بأمر الله، وقام بولاية علي بن أبي طالب –صلوات الله عليه– يوم غدير خُم، ونادى لذلك: الصلاة جامعة، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب، وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض"، فأنزل الله –عز وجل–: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا}

(المائدة، 3)، قال أبوجعفر: يقول الله –عز وجل–: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة قد أكملت لكم هذه الفرائض (15/1).

وهذا القول لا يصح؛ لأن سبب نزول هذه الآية الكريمة أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول –صلى الله عليه وسلم– ذهبوا إلى عبادة بن الصامت، أرادوه أن يكون معهم، فتركهم وعاداهم وتولى الله ورسوله، فأنزل هذه الآية الكريمة (الطبري، د.ت، 452/10).

**ز– الاستدلال بالأحاديث النبوية وتأويلها للدعاية للمذهب الشيعي:**

**– حديث عليّ مني وأنا منه:**

يطلعنا النعمان (1963م) بعدة أحاديث أوّلَها الشيعة، زعم أنها تؤكد حقهم في خلافة النبوة، جاء فيها: وروينا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (علي مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي)، وهذا أيضًا من مشهور الأخبار، وهو من قول الله –عز وجل–: {أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ} (هود، 17)، يعنى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– {وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} (هود، 17)، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (علي مني وأنا منه)، فدل ذلك على أنه الشاهد الذي يتلوه، شاهد على أمته، وحجة عليهم من بعده، وإمام مفترض الطاعة، ووصيه من بعده كوصي موسى في قومه، ولا يقتضي قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لعليّ –رضي الله عنه–: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)، إلاّ أنه خليفته في أمته، كما قال موسى لهارون (19/1–20).

وحقيقة هذا الحديث أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– ترك عليًّا –رضي الله عنه– في المدينة أثناء غزوة تبوك سنة (9هـ/630م)، وأمره بالجلوس فيها، فتكلم في ذلك المنافقون، وقالوا: "إن النبي ترك عليًّا في المدينة لأمر في نفسه" (يعني بغضًا لعلي). فبلغ عليّ كلام المنافقين، فتتبع النبي وهو خارج من المدينة، وفي رواية وهو يبكي، وقال للرسول: "أتخلفني في النساء والصبية"؟ فطيب النبي خاطره، وقال: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي"، (الخميس، د.ت، ص197).

إلا أن الشيعة أولوا الحديث وقالوا: إن معنى هذا الحديث هو أن عليًّا هو الخليفة بعد الرسول. وهذا القول لا يستقيم حسب أقوال أصحاب السير ورواة الحديث، وهي:

– إن هارون لم يخلف موسى؛ بل إنه توفي قبله بسنة (الطبري، 1969م، 432/1).

– إن النبي لم يبقِ عليًّا خليفة على المدينة؛ بل استخلفه على أهل بيته، وأن الوالي على المدينة كان سباغ بن عرفطة، أو محمد بن مسلمة (الطبري، 3/103–104؛ ابن كثير، 1997م، 155/8).

إذًا فالرسول أمر بالتمسك بكتاب الله، ثم أمر برعاية أهل بيته، وإعطائهم حقوقهم. على عكس ما روج له العبيديون إعلاميًّا لمذهبهم، وذلك باتّباع أسلوب التأسيس المبني على تثبت المعلومات والحقائق التي يدعون لها دعاتهم لمن يناظرونه حتى يستجيبوا لأفكارهم المذهبية، وتستقر في أذهان المستجيبين، ويؤمنوا بها، ولكنهم فشلوا بفضل مقاومة علماء السنة.

**ح– ادعاء النسب الشريف:**

الشرف: هو العلو والرفعة، وقد قال ابن السكيت: ولا يكون إلا لمن له آباء يتقدمونه بالشرف بخلاف "الحسيب". وقد ذكر بعض الكتاب أن ذلك هو السر في جعله أعلى من "الكريم"؛ لاشتماله دونه على عراقة الأصل وشرف المحتد (القلقشندي، 1915م، 17/6).

لهذا تميزت الطبقة الذين ينسبون إلى البيت النبوي الشريف عن غيرها من الطبقات، وحظيت بمعاملة خاصة في جميع مناطق المجتمع الإسلامي على مر العهود التاريخية بصفة عامة، فطبقة الأشراف كانت تحظى بقدر وافر من التبجيل والاحترام في المجتمع المغربي، ووصلت إلى درجة بأن أصدرت فتاوى من الفقهاء المغاربة بوجوب احترام الأشراف والقيام بحق ذرية النبي الطاهرة ومن انتسب إلى بيته الشريف، وكان كل من يتعرض لهتكها يستحق العقوبة على قدر اجترائه وجرمه، وكان نسب الأشراف "يثبت بالسماع الفاشي وشهادته به ودعاء الناس لديه، ويتقوى ذلك بثبوته عند القضاة، لا سيما مع تقادم رسوم المنسبين إليه..."، وأما الأشراف فعليهم أن ينظروا إلى غيرهم من المسلمين بعين الاحترام، فلا يحتقر أحدًا، ولا يتكبر عليه، ويعتز بشرفه وانتسابه لرسول الله (أبومصطفى، 2008م، ص35).

ولمعرفة العبيديين لهذه المكانة التي يحظى بها الأشراف في المجتمع المغربي؛ حاولوا استغلال هذا التعاطف، وبث دعاية تضليلية يدّعون فيها النسب الشريف؛ حتى يكسبوا ولاء العامة، ويتعاطفوا معهم؛ فتتاح لهم الفرصة بتحقيق حلمهم المنشود بإقامة دولتهم الشيعية ذات الفكر الرافضي والعقيدة المذهبية؛ لذلك سموا أنفسهم بالفاطمية؛ لأنهم يرون أنهم يعودون بنسبهم إلى علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– من زوجته فاطمة –رضي الله عنها– بنت رسول الله

–صلى الله عليه وسلم– (العقاد، د.ت، ص79)، وادعى عبيد الله المهدي، أول خلفائهم ومؤسس الدولة العبيدية في المغرب وأولاده، أنهم من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق (ت:145هـ–762م) أو من سلالة موسى الكاظم (ت: 183هـ–799م).

إلاّ أن جل الروايات التاريخية تشكك في نسبه، وأكدت أنه نصراني أو يهودي، ويجمل ابن عذارى (1983م) العديد منها قائلاً: "وقال سائر الناس: إنه دعي، وإن تتشابه للطالبين دعوة باطلة؛ وذكروا عن أبي القاسم بن طبطابا العلوي أنه قال: والله الذي لا إله إلاّ هو ما عبيد الشيعي منا، ولا بيننا وبينه نسب" (1–159)، وللداواداري (د.ت) رأي آخر فيقول في نسبهم عليه اختلاف بعد ما يسرد قول من أثبت ومن شكك، ويؤكد اتفاق أهل العلم على نكران نسبهم، ويؤيد ذلك فيقول: "إن أغلب الأشراف العلوين من أهل مصر والشام يذكرون أن عبيد الله كان يهوديًّا من أهل سلمية، تَسَمّى بالمهدي، كان زنديقًا خبيثًا عدوًّا للإسلام، يتظاهر بالتشيع، حريصًا على إزالة الملة الإسلامية، ودليل ذلك قتله للفقهاء والعلماء، قتل منهم عدة كبيرة...؛ لتبقى العالم كالبهائم، فيتمكن من إفساد عقولهم واعتقاداتهم {يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ}" (الصف، 8) (درر التيجان، مخطوط رقم (28–38)، رقم (4–5) ورقة رقم (242–243–244).

ويذكر ابن ظافر (1972م) "السبب في خفاء زورهم في ادعائهم الشرف: أن القوم كانوا وقت ابتداء ملكهم، ووقت ادعاء زورهم، لا يسمعون بمنكر لأمرهم طاعن على مذهبهم إلاّ بادروه بالعطايا، وأتحفوه بالأموال والرغائب، وطالبوا الكف منه، فإن رفض عملوا على قتله بأنواع من الحيل والمكر التي عليها مذهبهم"(ص4). كما أن الخلفاء العبيديين تولوا نظم الشعر وقرضه بأنفسهم، ولا تفوتهم فرصة من الفرص إلاّ واستغلوها لإلصاق نسبهم لأهل البيت، مثل: الخليفة المنصور بالله، الذي نظم قصائد في الفخر والمدح، وصلنا منها خمسة عشر بيتًا، أوردها الجوذري (1954م) في إطار تأريخه لانتصارات المنصور على أبي يزيد مخلد، ومنها قوله:

أَنا الطَّاهر اَلمنُصوُر من نَسلِ أَحمد...

بِسَيفِي أَقُدُّ الَهامَ تَحْتَ الَمغَافرِ (ص50).

ومع اختلاف هذه الآراء ما بين مؤكد ومعارض ظلت قضية نسب العبيديين مثارًا للجدل والنقاش بين المؤرخين حتى يومنا هذا.

**ط- منح العطايا المادية لأعوان وأنصار المذهب واستمالة المحايدين والمعارضين:**

**- منح الضياع والإعفاءات من الضرائب وتقليد المناصب:**

وترجع بداية هذه المنح منذ انطلاق الدعوة العبيدية، فبمجرد دخول عبيد الله المهدي رقادة عاصمة دولة الأغالبة أنشأ ديوان الضياع (النعمان، 1986م، ص303)، ولكثرة الضياع التي أقطعها الخليفة لرجال دولته، فقد ورث العبيديون كل ما كان بيد الأغالبة وغيرهم من دول المغرب من أراضٍ ومال وسلاح، ووزعت الأراضي على الأتباع من رجال الإدارة والدعوة والجيش، عرب وكتاميين وصقالبة (مجاني، 2010م، ص178).

وحصد الكتاميون والصقالبة الكثير من المنح، فقد أقطع المهدي جوذر ضيعة بالجزيرة "جزيرة أبي شريك"، يديرها وكلاء له، وأعفي من الضرائب، وتقلد المناصب؛ بل إن القائم يقول للكتاميين: "إن الله أورثكم أرضهم وديارهم" (الجوذري، 1954م، ص54-95-99).

ولم ينس العبيديون رجال الدعوة، فقد حظوا برعاية خاصة من قبلهم، وبالأخص من قدم خدمات للدعوة والدولة، ويذكر اليماني (1936م) "أن المهدي بعد خروجه من سجن سجلماسة قد أقطع بستانًا لأحد رجال الشيعة، كان قد نزل بداره عند قدومه إليها، وكان هذا مصادرًا من الأمير المدراري، فلما انتصر المهدي رد البستان لصاحبه وأقطعه ما جاوره" (1/121-122)، وكانت مقتضيات المصلحة تستوجب إعفائهم من الضرائب، كأبي القاسم المطلبي (ت318هـ)، الذي رافق المهدي إلى سجلماسة، حيث كتب فيه إلى داعيته أبو عبد الله الداعي عندما فتح رقادة يوصيه به، "ويأمر لحفظه وصيانته والمبالغة في الإحسان إليه، ورفع العشر والخراج وجميع المؤن عن ضياعه (اليماني، 2/123).

كما حظي موظفو الدولة ببعض الضياع، فيذكر جوذر(1954م) "أنه توسط لدى الخليفة المعز بأن يقطع ابن أحد كتاب جوذر -يدعى محمد بن عثمان- ضيعة يستعين بها في قضاء حوائجه، فمنحه المعز ما أراد؛ لأن نعمة الأئمة حسب رأيه أسبغت على الذين لم يعرفوهم، فكيف لا تسبغ هذه النعم على الذين لم يعرفوا إلاّ بالأئمة" (ص98-126).

**- تقليد المناصب للأعوان المخلصين للمذهب:**

أعطيت المناصب لمن يثقون به، وكان ولاءه للعقيدة المذهبية، فأطلق يد الصقالبة في إدارة المدن، وتسليمهم الولاية عليها، فالمهدية سلمت لجوذر، والمنصورية سلمت لمدام للصقلبي (ابن الأثير، 1987م، 309/6؛ الداعي، 1985، ص350-386)، كما تولى مهام قيادة الجيش أثناء ثورة أبي يزيد ميسور الصقلبي (مجاني، 2010م، ص102).

واقتصرت تولية الوظائف على من تشيعوا ومن ساعدوا في تمكين الدعوة من الوزراء السابقين وفي ذلك يقول المقريزي (1996م): "وكان أكثر من عند زيادة الله من الوزراء شيعة، فلم يكن يسوؤهم ظفر أبي عبد الله ..." (59/1).

ومن أبرز هؤلاء أبو بكر القمودي، الذي ولي على السكة، والحسن بن أحمد المعروف (بابن خنزير)، الذي عين واليًا على القيروان (ابن عذارى، 1983م، 159/1)، عبد الله بن القديم، الذي رد إليه النظر في كل الدواوين (اليماني، 120/2-121).

وصفوة القول: إن هذا النهج سار على دربه جميع الخلفاء العبيديين، فالوظائف الإدارية في الدولة لا تسند إلا للذي يدين بالطاعة والولاء للأئمة، حتى لو لم يكن على مذهبهم وقول المعز لدين الله في (أحمد بن أبي بكر الجذامي)، خير دليل على ذلك: "ولو أن الفاسق ابن بكر أطاعنا ما بخلت بفاس وما هو أعظم منه" (النعمان، 1996م، ص484).

**- استمالة المحايدين والمعارضين من قبائل وجماعات بالمال:**

ومن أهم سياسات العبيديين كسب ود المعارضين لهم في المذهب، واستقبالهم حتى يبعدوا أي خطر يهدد الخلافة والإمارة من قبل المعارضين.

لقد استخدم العبيديون أسلوب الإغراء بالمال لكسب ود المعارضين أو المحايدين؛ لكبح جماح منافسيهم، أو لإرضاء بعض من سعوا في خدمة الدولة، وفي هذا الصدد قدم إلى المنصور العبيدي رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي في نحو مائة فارس، يطلب منه أن يبعث إليه بالخطبة والسكة ليضربها على اسمه، فأكرم رسله وأوصلهم وجاوبه، وبعث إليه بما طلب، وأمر أن يأمر رفاق زناتة بالاختلاف إلى المسيلة والقيروان بالأطعمة والمرافق، وكتب إلى مدام الفتى يأمره بحفظ من وصل إليه من زناتة، ولا يمنعهم من شراء السلاح، ولا يكلفهم قبالة ولا مغرمًا (ابن حماد، 1927م، ص30).

كما استمال المنصور العبيدي بعض المحايدين بعد أن اشتد على جيوشه الخناق أثناء ثورة أبي يزيد النكاري، فكاتب زيري بن مناد، وماكسن بن سعد، وبعث إليهما أموالاً جمة، وثيابًا جملة، ومن الذهب والعين، واللجين، ومن التحف والطرف، ما استمال به النفوس واستلان به القلوب، فأجابه وحشد الجم الغفير من صنهاجة وعجيسة، ووصلا إليه بكل ما قدرا عليه (ابن حماد،1927م، ص27).

وبهذا نجح العبيديون في جذب المعارضين، فأجروا عليهم الوظائف، ومنحوهم الإعفاءات من المغارم، فأصبحوا يدينون لهم بالولاء حتى وإن كانوا يختلفون معهم في المذهب.

**- إقامة الولائم لجذب الأنصار:**

ومن أشهر المناسبات التي تقدم فيها الأطعمة، هي تلك الولائم التي أعدها الخلفاء العبيديون عقب حفلات ختان أبنائهم، تقدم فيها شتى أصناف الطعام، يجمعون حولها رفقاء الصبيان المختونين وأولياءهم؛ لعموم الفرحة، وإدخال السرور في نفوسهم، وقد تكون هذه المناسبة فرصة لا تعوض يغتنمها الخليفة فيتصدق على بعض الفقهاء المخالفين له في المذهب؛ لاستمالتهم، مثل: ما فعله المعز لدين الله عندما بعث بأطباق من الحلوى إلى أبي الفضل الغدامسي، اشتملت على قباط أبيض ملوز وغير ملوز، وفالودج، وطبق غسانية، كان هذا الأخير يشتهيها كثيرًا (المالكي، 1994م، ص449-450؛ أبوراس، 2008م، ص86-98).

من الملاحظ هنا أن العبيديين استخدموا أسلوب التأنيس في المناسبات كنوع من الدعاية؛ لبث الطمأنينة في نفوس المدعوين واتباع ميولهم، ومنحهم ما يشتهونه، كل حسب شهواته.

**ي- إعداد الجيوش واستقطاب الأفراد والجماعات للانضمام إليها:**

لكل دعوة جيش يحافظ على كيانها ويساندها عسكريًّا، فقد فسح العبيديون المجال لدخول الكثير من الجماعات في منظومة جيشهم في بلاد المغرب، فانضمت أعداد كبيرة لهم.

وأمام هذا العدد الهائل من الجند، أنشأ الخليفة المهدي ديوانًا سماه: ديوان العطاء، وولى عليه أحد أفراد قبيلة كتامة، وهو عبدون بن حباسة (ابن عذارى، 1983م، 159/1)، وأمر بتسجيل العبيد والروم والصقالبة والسودان وأبنائهم وأبناء الموالي في الديوان، وقام بتنصيب مجموعة من العرفاء يديرون شؤونهم، ويوزعون العطاء عليهم (مجاني، 2010م، ص187).

وقد استغرب من حضر مجلس المعز لدين الله من كثرة سخائه على جنده، فقال متعجبًا: "وأين يبلغ يا أمير المؤمنين عطاء غيرك من عطائك؟!!! إن الذي يعطيه أعداؤك جندهم نزر عند عطائك لأوليائك إذ حصل لهم" (النعمان، 1996م، ص531).

وهذا يؤكد أن العبيديين كانوا حريصين على دفع الأموال الطائلة لجذب الأتباع للمذهب من الجند؛ لكي يثبتوا دولتهم ويكونوا حماة لها.

**ك- استغلال الشعر كوسيلة إعلامية للتخاطب والدعاية لتأليههم:**

لأن الشعر يعد أكثر الحقول العلمية الأدبية وقعًا في نفوس العامة؛ اتخذته السلطة العبيدية الشيعية أداة للتعريف بكيانها، وتمجيد حكامها، وفرض قواعد مذهبها، فشجعت الشعراء، وجعل حكامها بلاطاتهم مجمعًا يقرب الشعراء الموالين لمذهبها، والمشيدين بفضائل سلطتهم.

وكانوا يرمون من وراء ذلك إلى نشر دعوتهم، والإشادة بمآثرهم، وتحقيق طموحاتهم، ومنافسة خصومهم من العباسيين، حتى أصبحت قصورهم مقصد القصاد للشعراء على اختلاف مشاربهم (خضيري، 1996م، ص174).

ولأهمية الشعر في حياة رجال السياسة؛ لأن من شأنه أن يرفع من قدرهم أو ينزله؛ لهذا أجزل الخلفاء والأمراء في بلاد المغرب الإسلامي للشعراء، وحددوا لهم أوقاتًا يدخلون فيها عليهم، وكانوا يقرضون لهم مالاً يدفعونه لهم كل سنة على الوفدة أو القصيدة، أو يمنحونهم عن البيت من الشعر مبلغًا معينًا، (ابن أبي ضياف، 1976م، 1/101-102)، وكان الشعراء يتقربون إلى الخلفاء والأمراء بالمديح، وبعض الشعراء يسترزقون بالمديح أو الهجاء، كما استعمل الدعاة والقضاة العبيديون الشعر كوسيلة لإثبات صدق مذهبهم والترغيب فيه من جهة، ولترهيب مخالفيهم من جهة أخرى، كما بالغ شعراء البلاط الشيعي -الذين مدحوا حكامه- في مدح عبيد الله المهدي، وعظَّموا نسبه بعد دخوله المغرب الإسلامي، وأحاطوه بهالة من التأليه تارة والعصمة تارة أخرى.

ويذكر لنا ابن عذاري (1983م) مقتطفًا من الأبيات التي بالغ فيها شعراء الشيعة في وصف بني عبيد، ومنها ما جاء على لسان محمد البديل، الذي أنزل المهدي العبيدي منزلة الله، فقال فيه:

حَلَّ بِرَقَّادَةَ الْمَسِيحُ ... حَلَّ بِهَا آدَمٌ وَنُوحُ

حَلَّ بِهَا اللَّهُ ذُو الْمَعَالِي ... فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ رِيحُ (160/3).

وكان الشعراء ينتهزون الفرصة تلو الفرصة لإبراز مواهبهم؛ فهذا ابن هاني كان له اتصال بالمعز لدين الله، وقيل: إن أول من أنشده بالقيروان قصيدة بالغ فيها بمدحه، وأعطاه هالة من التقديس، فوصفه أنه يعلم الغيبيات، (زيتون، 1988م، ص313–314)، وهذه القصيدة وردت في ديوان ابن هاني (1980م)، وبلغت أبياتها ستة وثمانين بيتًا، منها:

هذا مَعَدٌّ والخلائق كلُّها ... هذا المعزّ متوَّجًا والدينُ

هذا ضميرُ النشأة الأولى التي ... بدأ الإلهُ، وغيبُها المكنونُ(ص352).

وعندما أمر المعز لدين الله المؤذن أن يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن معدا" أي: المعز رسول الله"، وبلغ الأمر أن شاعره ابن هانئ فزاد في المغالاة في مدحه والتي جاءت في صورة تأليه لشخصه، أجملها لنا ابن الخطيب (1964م)، في كتابه أعمال الأعلام منها:

وَعَلِمت من مكنونِ سر اللهِ ما لم يُؤتِ في الملكوت ميكائيلا

لو كنتَ آوِنَةً مبـشر أمـــة نُشرتْ لمبعثِكِ القُرونُ الأولى

أو كنت نُوحًا مُنذِرًا من قومِهِ ما زادَهم بدُعائِهِ تَضليلا

للهِ فيكَ خفيَةٌ لوْ أعلِمَـت أحيَا بذِكرِكَ قاتِلٌ مقَتوُلا

لو كان آتى الخَلْق ما أُوتيتَهُ لم يَخْلُقِ التّشبيهَ والتمثيلا (55/3–56).

ويطلعنا الذهبي (1996م) في كتابه سير أعلام النبلاء، بأن للخلفاء باعًا في هذا المجال فقد نظم الخليفة الرابع المعز لدين الله (ت365هـ) الشعر، وإليه تنسب الأبيات التي جاءت في شكل حسرات، أعرب فيها عن عدم قدرته وعجزه على إخضاع سكان المغربين الأدنى والأوسط إلى مذهبه وسلطة دولته، فشبه حاله بالمحاجر، وهي ما بدا للبرقع من جميع العين، وتلتف عليه المعاجر، وهي من الثوب الذي تلفه المرأة على استدارة رأسها، ثم تجلبب فوقه بجلبابها، فقال متحسرًا ومنشدًا بحرقة هذه الأبيات:

لِلَّهِ مـَا صَنَعَـتْ بِنـَا تِلْكَ الْمَحَاجِرُ مِنْ الْمَعَاجِزْ

أَمَضَى وَأَقْسَى فِي النُّفُوسِ مِنَ الْخَنَاجِرِ فِي الْحَنَاجِرْ

وَلَقَدْ تَعِبْـتُ بَيْنَكـُمْ تَعَبَ الْمُهَاجِرِ فِي الْهَوَاجِرْ (163/15–164).

**ل- المناظرات:**

شجع العبيديون دعاتهم بكلِّ ما أوتوا من قوة، وبشتى الوسائل؛ لنشر عقيدتهم المذهبية بين الناس، ونشب صراع بين دعاة عبيد الله المهدي وبين العامة من أهل القيروان، وذلك أن بني عبيد عندما ملكوا القيروان أظهروا تبديل مذهب أهل البلد، وأجبروا الناس على مذهبهم بطريق المناظرة وإقامة الحجة (الدباغ، 1978م، 298/2)، واستخدموا الأسلوب الدعائي المظلل، لإيهام الآخرين بأنهم أصحاب حق، وذلك من خلال تأويل آيات الذكر، وادعاء أحاديث نسبوها إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وأسندوا نقلها إلى أئمة أهل البيت، أو الصحابة -رضي الله عنهم- جميعًا، وحظي علماء الشيعة بدعم السلطة لهم، وذلك بمنحهم الهبات والصلاحيات الواسعة لمناظرة علماء أهل السنة المناوئين للدعوة أمام حشد من الناس؛ وكانت غايتهم هي التشويش على العامة الحاضرين لهذه المناظرات، خاصة في حال تغلب العالم الشيعي على العالم السني، فيميل العامة للمذهب الشيعي، ويعتنقونه في بعض الأحيان.

إلاّ أن علماء القيروان المالكيَّة تحملوا أزر الدفاع عن السنة، وغامروا بحياتهم، ودخلوا معهم في مجادلات، محاولين دحض آراء الشيعة وإبطالها، وصمدوا من أجل ذلك، ودافعوا عن مذهب مالكٍ بقوة واستماتةٍ شديدتين، وعن تضحياتهم يقول الدباغ (1978م) "فمنهم مَن مات، ومنهم مَن ضُرِب وسجن، ومع ذلك هم صابرون لا يفرُّون، ولو فرُّوا لكفَرَتِ العامَّة دَفْعةً واحدة"(292/2).

لقد استمرت المناظرات سنين عدة بين السُّنَّة والشيعة في الفترة الزمنيَّة التي سيطر فيها العُبَيديُّون على إفريقية، وتناولت نقاط خلاف عدّة، في مواضيعُ ما زالت تُثار إلى الآن. وسجَّلت كتبُ التراجم عالمًا مالكيًّا برع في مناظرة الشيعة، واستطاع إفحامهم وتبيين بطلانِ جميعِ شبههم، وهذا العالم هو أبو عثمان سعيدُ بن محمد بن صبيغ الغسَّاني، المعروف بابن الحداد ت302هـ، (المالكي، 1994م، 57/2).

وامتاز هذا العالم بروح معنوية بالغة النظير، فاق بها أقرانه؛ مكَّنته من الدخول في مساجلات عدة مع الشيعة، فقد كان محطَّ أنظار، ولم يكن يتوانى في القدوم عليهم؛ حتى يبيِّن لهم الحق، ويفضح ادعاءاتهم التضليلية الكاذبة نورد منها على سبيل المثال لا الحصر:

**- مناظرة حول ولاية عليّ، رضي الله عنه:**

وهي من أكثر المناظرات التي أثارت جدلاً كبيرًا حول موضوع ولاية -عليّ رضي الله عنه-، فالشيعة دائمًا يستدلون بحديث: (مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه) على أن الناس يجبُ أن يكونوا تَبعًا لعليٍّ في كل شيء، وهو الكلام الذي أورده أبو عبد الله الشيعي على ابن الحدَّاد، فأجابه ابن الحداد بأن مولاي بالمعنى الذي أنا به مولاه، ومعنى مولاي: على الولاية في الدين لا مولى عَتاقةٍ، وذلك أن المولى في كلام العرب: الوليُّ، وابن العم، والمعتَق، والمنعم عليه، قال الله عز وجل في ابن العم حكاية عن زكريا عليه السلام: {وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِنْ وَّرَآءِي} (مريم، 4)، يريدُ به العصبة، وقال في ولاية الدين: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ} (محمد، 12)؛ أي: لا وليَّ لهم، وقال في المؤمنين: {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ} (المائدة، 53)، فعليٌّ مولى المؤمنين بأنه وليهم، وهم مواليه بأنهم أولياؤه، فهو مولاي بالمعنى الذي أنا مولاه، (المالكي، 84/2-85). وبيَّن ابن سعيد موقف علماء المالكية من عليّ، والذي يتجلى في الترضِّي عليه وعلى أهل بيت النبي -عليهم السلام-؛ بل قال أبو عثمان: على مبغضِ عليٍّ لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، وكيف أبغض عليًّا وقد سمعت سحنون بن سعيد، وهو إمام أهل المدينة بالمغرب يقول: عليُّ بن أبي طالب إمامي في الدين أهتدي بهَدْيه، وأستنُّ بسنته، وأقتفي أثره (المالكي، 83/2).

وقد اشتهرت المناظرات بين أبي العباس أخي عبد الله وبين الشيخ سعيد، وكان يغلبه بالحق، ويظهر عليه، حتى اشتهر بذلك، وحتى قال له ابنه: "اتق الله في نفسك، ولا تبالغ في مناظرة الرجل، فقال له: حسبي من له غضبت، وعن دينه ذببتُ" (عياض، 1981م، 82/5).

**م- سب الشيعة للصحابة:**

استخدم الشيعة أسلوب التشهير بالطعن في صحابة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكان غايتهم من ذلك إيصال رسالة إعلامية تضليلية من خلال أكثر وسائل الإعلام شيوعًا، وهي التشهير بالصحابة في الأسواق العامة، ويصف لنا القاضي عياض هذه الفترة الحرجة، فيقول: "كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيدة في حالة شديدة من الاهتضام والتستر، كأنهم ذمة تجري عليهم في كثرة الأيام محن شديدة. ولما أظهر بنو عبيد أمرهم، ونصبوا حسينًا الأعمى السبّاب -لعنه الله تعالى- في الأسواق للسب بأسجاعٍ لُقِّنها. يوصل منها إلى سب النبي -صلى

الله عليه وسلم–، في ألفاظ حفظها، كقوله لعنه الله: العنوا الغار وما وعى، والكساء وما حوى. وغير ذلك، وعلقت رؤوس الأكباش والحمر على أبواب الحوانيت، عليها قراطيس معلقة، مكتوب فيها أسماء الصحابة. اشتد الأمر على أهل السنة، فمن تكلم أو تحرك قتل ومثّل به"، (عياض، 1981م، 303/5)؛ الدباغ، 1978م، 32/3).

إن سب الروافض للصحابة –رضوان الله عليهم جميعًا– ينافي شهادة الرسول –صلى الله عليه وسلم– فيهم حيث قال: "إنهم خير القرون" "وإن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم" (ابن تيمية، 2004م، 154/3).

**ن– محاولة فرض الشرائع الشيعية وإسقاط الفرائض السنية:**

قام عبيد الله المهدي باختراق العقائد الدينية، ومحاولة تعطيل عقول العامة من أتباعه، خاصة من خلال ترويجه وتضليله للناس عن طريق ادعاءاته الكاذبة بأنه يدعو للسنة الصحيحة التي نقلها أئمة أهل البيت، فأدخل تغييرات في العقيدة، وتشدد في تطبيقها، حتى ابتعدت عن تعاليم الاسلام، كإسقاط الرجم عن المحصنين في الزنا، وإسقاط المسح على الخفين، والصوم بالعلامة والفطر بها، لا برؤية الهلال، أي: بالحساب، (الذهبي، 1996م، 374/15)، وتحليل المطلقة ثلاثاً (ابن عذاري، 1983م، 159/1–160).

إلى غير ذلك من المستحدثات والبدع المتمثلة في إبطال بعض السنن المتواترة، والزيادة في بعضها، كما فعلوا في الأذان بزيادة: "حي على خير العمل"، وأسقطوا من أذان الفجر "الصلاة خير من النوم"، ومنعوا صلاة التراويح، بعد أن ترك الناس على صلاتهما عاماً واحداً، وأمر بني عبيد بصيام يومين قبل شهر رمضان، وقنتوا في صلاة الجمعة قبل الركوع، وجهروا بالبسملة في الصلاة المكتوبة، ومنعوا صلاة الضحى، ولم يكن أحد في مدّة بني عبيد يصليها إلا متخفيًّا، فإن ظهروا عليه قتلوه، وقدموا صلاة الظهر لفتنة الناس، وإجبار أئمة المستجد على الدعاء لعبيد الله المهدي من على منابرهم في خطبة الجمعة، ما حمل أكثر الناس على ترك الصلاة في المساجد، حيث نشر عبيد الله دعائه داخلها لإرغام الناس وترهيبهم، مع محاولة ترغيبهم في المذهب الشيعي (ابن حماد، 1927م، ص15–16؛ ابن الخطيب، 1964م، 51/3).

ويذكر ابن الأثير(1987م): "أن رجلاً يدعى الشريف كأحد هؤلاء الدعاة الذين كانوا يجلسون في المساجد لدعوة الناس" (461/6).

وتزودنا كتب التراجم بما في ذلك الجرم الذي اقترفه العبيديون زمن المنصور العبيدي في حق القاضي محمد بن إسحاق الحبلي قاضي برقة، الذي وجهت له تهمة مخالفة قرار الخليفة المنصور، حيث أمره هذا الأخير بأن يعلن أن اليوم الموالي سيكون يوم عيد الفطر، وهذا قبل انقضاء عدّة شهر رمضان، وقبل ثبوت رؤية هلال العيد، فكانت نتيجة رفضه القرار أن نصب العبيدي لابن خيرون صاريًا عند الباب الأخير من أبواب الجامع الذي يلي درب المهدي، وعلق بيده إليه في الشمس فأقام كذلك ضاحيًا للشمس في شدة الحر يومه ذلك، فلما كان بالعشى مات –رحمة الله عليه–. ولسانه خارج من العطش، وهو يطلب من يسقيه الماء، فلم يسق خوفًا من عامل البلد، وذلك في سنة (341هـ/1049م). فلما مات أخذه رجال العبيدي وصلبوه بباب أبي الربيع، رحمة الله عليه (المالكي، 1994م، 2/404–405).

ومما سبق يتجلى لنا أن العبيديين استعملوا أسلوب الخلع المعنوي؛ ويقصد به إقصاء أهل السنة من المشهد نهائيًّا، بإسقاط الفرائض الشرعية المعمول بها في الإسلام؛ لفسح المجال لفرض التأويل غير المشروع، مما أحدث الانفصال بين الخالع والمخلوع.

**س– المؤلفات:**

**– تشجيع الخلفاء العبيديين للمؤلفين الذين يروجون لنسبهم وعقيدتهم:**

ومن أبرز الخلفاء العبيديين اهتمامًا بالعلم الخليفة المعزلدين الله، الذي عرف بثقافته الواسعة، وإجادته العديد من اللغات، وولعه بالعلوم، ودرايته بالأدب، فكان كثير التشجيع للعلماء، فاتحًا لهم أبواب قصره، مبيحًا لهم الاطلاع على الكتب المختلفة التي بمكتبة القصر؛ بل كان يحاورهم، ويسدي لهم النصائح بإضافة ملاحظاته، بانتقاد المؤلفين انتقاد العالم الضليع بمختلف العلوم، ومن إحدى استدراكاته على إحدى مؤلفات النعمان ذكرها التعمان (1996م) في كتابه المجالس والمسايرات يقول المعز لدين الله: "وقفت على الكتاب وتصفحته، فرأيت ما أعجبني فيه من صحة الرواية، وجودة الاختصار، ولكن فيه كلمات تعتاص على كثير من أوليائنا معرفتها، فاشرح بما يقرب من إفهامهم" (ص360).

من خلال هذا النص يتبين لنا مدى اهتمام العبيديين بأن يستوعب أتباع المذهب عقيدتهم المذهبية بكل سهولة ويسر؛ ولهذا كانوا يوجهون العلماء بوضع مؤلفاتهم في قالب مبسط.

هذه المكانة العلمية والأدبية للمعز لدين الله العبيدي أهلته للمساهمة في الحياة الفكرية في عهده (341–362هـ)، فقد كان عهد قوة وإشعاع، بلغ فيه علم الكلام والجدل أوجه في مجالس الحكمة التأويلية، وازدهر النشاط الفقهي الشيعي الذي أوكلت مهمته للقاضي النعمان؛ لقدرته الخطابية في سلب النفوس والعقول، وانتشر الغلو في المديح بقدوم ابن هاني إلى البلاط العبيدي (اليعلاوي، ابن هاني، 1985م، ص254–356).

وأما علماء صقلية وشعراؤها فقد كان لهم الحظ الأوفر أيضًا من عطايا أمرائها، فنجد البرادعي قد استقر بصقلية، وكان يميل إلى بني عبيد، وحدث خلاف بينه وبين علماء القيروان فأخرج منها بسبب صحبة له مع سلاطينها، أو بسبب تآليفه التي أفتوا برفضها، كما وجد شعرًا بخطه يمتدح فيه ولاة صقلية والخلفاء العبيديين، جاء فيه:

أُولَئِكَ قوم إِن بنوا أَحْسنُوا الْبَنَّا وَإِن عَاهَدُوا أَوْفوا وَإِن عقدوا شدوا....

وقد سر العبيديين بتأليفه كتابًا في نسبهم، وخاصة أنه كان في محل شك من الكثيرين، فأنعموا عليه فوصلت إليه هداياهم تكريمًا له (الذهبي، 1996م، 523/17).

من الملاحظ أن التأليف في هذه الحقبة لم يكن هواية؛ بل كان لغرض خدمة كل فريق من المتخاصمين لمذهبه؛ ولهذا نجده قد خضع لمرحلة تأثير وتأثر بين تزايد نشاط فقهاء المالكية وجهود الدعاة العبيديين في المجال العلمي، ولا سيما في ما يتعلق بالتأليف العقائدي، فقد وضع بعض الأئمة والدعاة الشيعة مؤلفات تبني مبادئ مذهبهم وأحكامه، ومن أشهرهم في هذا المجال القاضي النعمان، فالمتصفح لمؤلفات النعمان يدرك أن تشبعه بالمذهب الإسماعيلي جعل منه منظرًا ومشرعًا ومقننًا للفقه الإسماعيلي، وأصبح يستخلص الحجج والأدلة للذود عن مذهبه، يستوحيها من القرآن الكريم، ويؤول تفسيرها وفق رؤيته التي تتماشى مع عقيدته المذهبية، وهذا واضح في مؤلفاته الفقهية، فهو يرى أن الأحزاب الوارد ذكرهم في القرآن الكريم هم الشيعة الإسماعلية الذين يحيطهم بنوع من القداسة، ويحاول تبرير أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم، وقد وضع عدّة مصنفات في هذا الشأن، تخدم العقيدة المذهبية، حتّى بلغت (44) كتابًا، وما وجد منها (20) كتابًا، بعضها مطبوع، وبعضها ما زال مخطوطًا، (الداعي، ص237–559 إلى 569).

وبهذا النشاط الدعائي ظهرت ملامح فكر رافضي، بتشجيع من الحكام الذين كان لهم حظ وافر من العلم؛ لارتباطه بالعقيدة الإسماعيلية التي تجعل من الإمام مصدر العلم المستمد من النبوة، كما يعتقدون.

**– قتل وتهجير وتعذيب الفقهاء المعارضين للمذهب ومصادرة مؤلفاتهم:**

شهدت بلاد المغرب الإسلامي منذ قيام الدولة العبيدية صراعًا عقائديًّا بين أهل السنة والشيعة، الذين سلكوا شتى الطرق والوسائل في سبيل نشر مذهبهم وإقصاء المذاهب الأخرى، وكان الدعاة من الشيعة يعقدون المناظرات؛ لجذب أهل البلاد إلى مذهبهم، ولكنهم لم يلقوا قبولاً، وواجهوا مقاومة شديدة، فسلكوا أسلوب العنف والاضطهاد، وترهيب المخالفين.

ومع أن الخلافات المذهبية كانت كثيرًا ما تلحق أضرارًا فادحة بالعامة، لما لها من انعكاسات سيئة أرهقتهم، إلاّ أنه على الجانب الآخر قد غذى الصراع المذهبي الحركات الفكرية، حتى كانت العقلية بالقيروان لا تختلف عن سواها في المشرق الإسلامي، ومن نتائجه أيضًا إقبال العلماء من كل مذهب على طلب العلم والتبحر فيه، حتى نبغ منهم رجال برزوا في شتى العلوم (المجدوب، 1975م، ص238–240).

وأما عن المؤلفات التي كان لها أثرها الواضح في الأوساط الثقافية؛ فهي تلك المؤلفات التي بذل علماء أهل السنة جهدًا مضنيًّا في تأليفها، وبمجهوداتهم الشخصية، وتطوعًا منهم، منها كتاب الإمامة الذي ألفه أبو إسحاق إبراهيم الزبيدي، المعروف بالقلانسي (359هـ/969م)، في الرد على الرافضة (ابن فرحون، 1996م، ص144). وكان هذا سببًا في تعرضه للعقوبة، فقد ضربه القائم بأمر الله أبو إسحاق سبعمائة سوط، وحبسه أربعة أشهر؛ بسبب التأليف المذكور، وقيل: بسبب تدريسه كتاب الإمامة الذي ألفه ابن سحنون (ابن فرحون، ص144).

**– مصادرة المؤلفات السنية:**

استخدم العبيديون سياسة ممنهجة للاستيلاء على كتب أهل السنة، وذلك بمصادرتها بعد موت أصحابها، وتذكر لنا المصادر التاريخية نصًّا جاء فيه: "أن أبا محمد عبد الله بن هاشم بن مسرور النجيبي، المعروف بالحجام (ت346هـ/956م) عندما اشتد عليه المرض، وخوفًا من أن يداهمه الموت، أراد أن يودع مكتبته الخاصة في مكتبة القصور، فأشار عليه أصحابه بتحبيسها للانتفاع بها، خوفًا من أن يأخذها رجال المعز لدين الله العبيدي إذا داهمه الموت، ويمنعوا

الناس من الانتفاع بها، فاستجاب لمشورتهم، فثلثها، ووجه بأحد أثلاثها إلى أبي محمد بن أبي يزيد، ثم افتقدها، فرد عليه أصحابه ثلثيها، وتركوا الثلث الآخر لدى ابن أبي يزيد، وهذا الثلث الذي سلم من مكتبة ابن الحجام بعد موته" (عياض، 1981م، 331/5).

وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على مصادرة العبيديين للأفكار التي تخالف عقيدتهم المذهبية، مما أثر سلبًا على الحياة الثقافية، وعطل حركة تحبيس الكتب على المرافق العامة.

ولم يقتصر الأمر على المصادرة فقط؛ بل أهملوا دور بيت الحكمة في رقادة، الذي تضاءل نشاطه عندما استولى عليها العبيديون عام 296هـ/909م، فاحتفظوا بكتبه، وعطلوا إشعاعه، وبخاصة بعد انتقالهم إلى المهدية (ابن الأبار، 1963م، 192/1). وأما مكتبة المعصومة بتيهرت، والتي قد حوت آلافًا من المجلدات، عندما دخل العبيديون المدينة حرصوا على إتلاف أغلب الكتب الموجودة فيها، وقاموا بإحراق مكتبتها ما عدا كتب الرياضة والصنائع والفنون الدنيوية التي احتفظوا بها، وتمت مصادرتها، (الميلي، 1989م، 77/2)؛ ولهذا نجد أن علماء السنة لجأوا إلى الهجرة، فآثر بعضهم الخروج إلى البادية، فيروى عن أبي محمد الورداني أنه لما دخل الشيعة القيروان جمع أهله وخيرهم أن يرحل عنهم إلى بلد آخر، أو أن يخرج إلى البادية يرعى البقر، فرأوا أن يرعى البقر خيرًا لهم من مفارقته، (التجاني، 1981م، ص56–57). وإذا ما قارنا بين المؤلفات الشيعية والسنية من حيث الدعم؛ فإن الأمر يختلف هنا، فقد لاقت المؤلفات الشيعية الدعم من الخلفاء العبيديين، واستمدت إلهامها ومادتها من الخليفة نفسه؛ على عكس علماء السنة الذين تعرضت كتبهم للمصادرة، خاصة بعد وفاتهم، مما دعا بعضهم لإخفائها عند أصدقائهم، أو تحبيسها على المساجد؛ لكيلا تطالها أيدي العبيديين، وربما يتم طمسها بقصد إخفاء معالم وآثار أهل السنة.

**ع– بناء المساجد لتلقين التشيع وترميم القديمة منها وطمس معالمها السابقة:**

كان العبيديون يرون في أنفسهم أنهم أصحاب مذهب عقدي، فدعوا الناس إلى مذهبهم من جميع الفئات، وكونوا منهم الدعاة، واقتصر عملهم على زرع مذهبهم القائم على التأويل، وعلم الباطن؛ لنشره وجمع الأعوان، وغرسوا في عقول أتباعهم أنه لا علم إلاّ علم الأئمة، وأن مذهبهم هو مصدر الحياة، وهو الذي يجب أن يعم، مستغلين العديد من المساجد التي وجدوها أمامهم، أو التي أقاموها؛ لكنها لا ترتقي إلى ذلك الكم الهائل الذي أنشأه الأغالبة من قبلهم؛ لأن العبيديين

سخروا كل إمكانياتهم لتحقيق مصالحهم، غاضين النظر على تلك الإستراتيجيات التي لا تهمهم. ومن هذه المواقع الجامع الكبير بطرابلس، الذي عملوا على توسعته، وأدخلوا به التعليم الشيعي، وجامع المهدية، وجامع المسيلة، الذي أنشأه القائم، وجامعًا بمدينة أشير، التي أسسها بلكين بن زيري الموالي للعبيديين، وجامعًا بالمنصورة، وجامع برقادة، والقرويين بفاس، وجامع عقبة (التليسي، 2003م، ص391-390).

من الملاحظ أن العبيديين سخروا كل إمكانياتهم التي تخدم مصالحهم، فأعادوا ترميم المساجد القديمة، وكتبوا اسم الخليفة المهدي عليها، وطمسوا معالم تلك المساجد، وكان العبيديون يعتبرون المساجد والمكتبات وسائل لنشر دعوتهم؛ باعتبارها مراكز لتعليم عقيدتهم؛ لذلك بذلوا جهودًا لترميمها (حسن، 1981م، ص565-566)، فقد أمر المنصور بالله العبيدي بصيانة جامع عقبة في مدينة طبنة (زكي، 1937م، ص198)، ومسجد طرابلس، الجامع الذي بناه بنو عبيد، على يد خليل بن إسحاق (التجاني، 1981م، ص253-254)، وجامع الناقة الذي اختلفت الآراء حول تاريخ بنائه؛ فالبعض يرى أن البناء جاء على شكل هبة وهبها المعز لدين الله العبيدي، وهو في طريقه إلى مصر، عندما بركت ناقته في هذا المكان؛ فأعطى أهل طرابلس كمية من الدنانير ليقيموا مسجدًا في نفس الموضع الذي بركت فيه الناقة، بينما يرى البعض أن المسجد أقدم من زمن المعز (إسبيطة، 2015، ص201).

**ف- إنشاء دور لسك العملة والطرز لغاية دعائية:**

**- صك العملة:**

تعد المسكوكات من أهم وسائل الدعاية والإعلام، وذلك بما تملكه من سرعة الانتشار والتداول، حيث توجه العبيديون لسك النقود للترويج لدعوتهم من خلال نقش شعاراتها على المسكوكات، ويعتبر المعز أقدر من قام بتوظيفها لتكون واحدة من أهم وسائل الدعوة.

ونعرض في الجدول الآتي أهم تصميم يحمل مبادئ العقيدة الشيعية، ويعرف باسم "الدينار المعزي": الإطار العام لهذا المسكوك عبارة عن أربع دوائر متحدة المركز، الدائرة الداخلية تضم دائرة مطموسة، أو كلمة "عدل"، يليها ثلاثة هوامش كتابية، نقشت على الشكل التالي:

الجدول (1): يوضح محتوى الدينار المعزي

| الوجه | الظهر |
|---|---|
| مركز: ● "عدل" | مركز: ● |
| هامش داخلي: لا إله إلا الله محمد رسول الله. | المعز لدين الله أمير المؤمنين. |
| هامش أوسط: وعليّ أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين | دعا الإمام معد لتوحيد الإله الصمد. |
| هامش خارجي: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ولو كره المشركون. | بسم الله ضرب هذا الدينار + تاريخ ومكان السك. |

* من إعداد الباحث.

نلمس مما شاهدنا من شكل إطار هذا الطراز أنه يحمل في مضمونه مبادئ العقيدة الشيعية التي سوق لها المعز، مثل: عبارة" عليّ أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين"، والتي نقشت في الهامش الأوسط للوجه. وهذه العبارة ترمز إلى الوصاية للإمام عليّ، وأنه أفضل من أُوصي له، كما تشير إلى أنه وزير الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وهو من الأمور التي يحرص الشيعة على تأكيدها من خلال بعض الأحاديث التي نسبوها للرسول (الداعي، 1985م، ص686).

كما دون المعز العبارة التي جاء فيها: "دعا الإمام معد لتوحيد الإله الصمد". والتي وردت من الهامش الأوسط للظهر. وهي توحي لمن تداولها بأنه قام بأمر الدعوة إلى عبادة الله الواحد الصمد. حيث يعد نقش هذه العبارة على العملة بسبب ارتباطها ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة الشيعية.

ويعتبر هذا الإصدار أكثر الإصدارات تداولاً وانتشارًا في عهد المعز لدين الله؛ فهو يعد من نقود الدعاية والإعلام، فكان من أهم المسكوكات التي لها تأثير كبير في الجانب الدعائي؛ باعتبارها وسيلة الإعلام الرئيسية للدولة؛ لأنها من شارة الملك والسلطة، فقد ضرب منذ عام 343هـ وحتى365هـ في العديد من دور السك المختلفة، مثل: المنصورية، والمهدية، ومصر، والمدينة المعزية، وفلسطين (رمضان، 2004، 341/1).

**– الطرز:**

ارتبطت الصناعات النسيجية بمراكز الخياطة والصباغة وأعمال التطريز، التي نالت كل الاهتمام من الخلفاء العبيديين، فقد اتخذوا من المنسوجات وسيلة دعائية يخاطبون عن طريقها

الأتباع، ويستقطبون بها الأعوان، من خلال وضع دعاياتهم على الطرز والبسط والملابس، وكان القائم على النظر في دور الطرز يسمى "صاحب الطرز"، أو الذي ينظر في أمور الصباغ والآلة والحاكة، وإجراء أرزاقهم، وتسهيل آلاتهم، ومشارفة أعمالهم، وهؤلاء الذين يشتغلون لصالح أصحاب السلطان وخواص الدولة، وكانت الأقمشة والستائر والأردية المطرزة أو المنسوجة أو المخيطة ترتبط بمكانة من يرتديها، سواء الطبقات الرفيعة، أو أصحاب السلطان، وتجرى النقوش على حواف الرداء، أو في خطين، أو أكثر حول الجزء العلوي من الرداء، أو الرقبة والأكمام ولباس الرأس، بحواشٍ مطرزة بالذهب وغيره من الأشرطة، وتشمل عبارات البركة وأسماء الحكام (الصادق، 2014م، ص120-121).

ومن أمثلة ما وضع منها على الطرز والبسط والمنسوجات، تلك التي تحمل اسم عبد الله ووليه معد أبو تميم الإمام المعز لدين الله، ومكانها مصر، ومؤرخة بعامي 345هـ و355هـ قبل غزو العبيديين لمصر سنة 358هـ، حيث كانت هذه الشعارات تستخدم للدعاية والتمهيد الإعلامي لحكم العبيديين مصر (رمضان، 2004، ص334).

**النتائج والتوصيات:**

**أولاً: النتائج:**

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- توصلت الدراسة إلى أن الأسلوب التضليلي الدعائي الذي سار عليه العبيديون واستخدموه كمظهر من مظاهر الدعوة لمذهبهم يختلف عن نهج السلف الصالح؛ حيث بدأت سماته بعهد النبوة، ووضع أسسه رسولنا الكريم -عليه أفضل الصلاة والسلام-، والخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم جميعًا-، وقد بني على الصدق والإخلاص في القول والعمل.

2- أحدثت الشعارات المذهبية نفورًا وهوة شاسعة بين سكان المغرب والسلطة العبيدية، ولم تلق لها آذانًا مصغية، وقوبلت بالرفض والمواجهة.

3- كان للأموال التي تصرف على الدعاية حضور جليل في المناسبات الاجتماعية كالزواج والختان، كذلك احتفالات توديع الجيوش والانتصارات العسكرية.

4- وبالرغم مما وقفنا عليه من نتائج لحصر بعض أساليب الدعاية المذهبية زمن العبيديين؛ إلاّ أن الدراسة تبقى محاولة متواضعة، فأعمال الإنسان مهما كانت لا تخلو من نقص،

وصفة الكمال لله وحده، وما يسعني إلاّ أن أردد قوله سبحانه وتعالى: {وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا۝} (الإسراء، 85).

**ثانيًا: التوصيات:**

توصلت الدراسة إلى التوصيات الآتية:

1- على الباحثين في مجال الإعلام والتاريخ، الدخول في هذا الميدان، والبحث في شعابه الشاسعة، وسلك الدروب النيرة للمسلمين الأوائل الذين سبقونا.

2- لفت الشباب إلى ضرورة التمسك بثقافتنا الإسلامية، وصرفهم عن التأثر بما يحاك لهم لطمس معالمها، وخلق منابر إعلامية صادقة تنقي تاريخنا وإعلامنا من التزوير والبهتان.

# المصادر والمراجع

**القرآن الكريم.**

أبو مصطفى، كمال. (2000م). *جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في الغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي*. مركز الإسكندرية للكتاب.

أبوراس، رفيق. (2008م). *الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية*. [رسالة ماجستير منشورة] جامعة منتوي قسنطينة بالجزائر.

إبراهيم، بن عامر الرحيلي. (1997م). *انتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال*، مكتبة الغرباء الأثرية.

إسبيطة، أحمد عبد الله. (2015م). *التجاني ومنهجه في كتابة رحلته، خطط أطرابلس ونواحيها نموذجًا، مجلة كلية التربية جامعة مصراتة* (4). ص192– 216.

ابن الأبار، أبو عبد الله القضاعي. (1963م). *الحلة السيراء*. الشركة العربية للطباعة.

ابن الأثير، الجزري عز الدين. (1987م). *الكامل في التاريخ*. دار الكتب العلمية.

ابن الخطيب، لسان الدين الغرناطي. (1964م). *تاريخ المغرب في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام*. نشر وتوزيع دار الكتاب بالدار البيضاء.

ابن جرير، الطبري أبو جعفر. (د.ت). *تفسير الطبري جامع البيان*(ط2). مكتبة ابن تيمية.

ابن جرير، الطبري أبو جعفر. (1969م). *تاريخ الطبري* (ط 2). دار المعارف.

ابن هاني، محمد الأندلسي. (1980م) *الديوان*. دار بيروت للنشر.

ابن زكريا، أحمد بن فارس. (1979م). معجم *مقايس اللغة*. دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن حماد، أبوعبد الله. (1927م). *أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم*. مطبعة جول كربونل.

ابن كثير، ابن الحافظ أبو الفداء. (1997م). *البداية والنهاية*. دار هجر للطباعة والنشر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. (د.ت). *لسان العرب*. دار المعارف.

ابن فرحون، إبراهيم علي بن محمد. (1996م). *الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب*. دار الكتب العلمية.

ابن عذاري، أبي عبد الله محمد المراكشي. (1983م). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* (ط3). دار الثقافة.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1986م). *منهاج السنة*. جامعة محمد بن سعود.
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (2004م). *الفتاوي*. مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف.
ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي. (2000م). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. دار الفكر العربي.
ابن خلكان، أبو العباس. (1969م). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. دار صادر.
ابن ظافر، جمال الدين الأزدي. (1972م). *أخبار الدول المنقطعة. دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين*. مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.
الأمين، السيد محسن. (1983م). *أعيان الشيعة*(ط5). دار التعريفات للمطبوعات.
البغدادي، عبد القادر بن طاهر. (1988م). *الفرق بين الفرق*. مكتبة ابن سينا للنشر.
الجوذري، أبو علي منصور. (1954م). *سيرة الأستاذ جوذر*. دار الفكر العربي.
الداواداري، أبوبكر بن عبد الله بن أيبك. (د.ت). درر *التيجان وغرر تؤرخ الأزمان*. مخطوط رقم (2838). مكتبة الإسكندرية. ورقة(4–5).
الداعي إدريس، عماد الدين. (1985م). *عيون الأخبار*. دار الغرب الإسلامي.
الدباغ، أبو يزيد عبد الرحمن الأنصاري. (1978م). *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*. مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم.
اليماني، محمد بن محمد. (1936م). *سيرة الحاجب جعفر بن علي*. *مجلة كلية الآداب الجامعة المصرية*. مج *4* ج 2. 107–133.
اليعلاوي، محمد. (1985م). ابن *هاني الأندلسي شاعر الدولة الفاطمية*. دار الغرب الإسلامي.
المالكي، أبي بكر عبد الله. (1994م). *رياض النفوس*(ط2). دار الغرب الإسلامي.
المجدوب، عبد العزيز. (1975م). الصراع *المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية*. الدار التونسية للنشر.
الميلي، مبارك. (1989م). *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*. المؤسسة الوطنية للكتاب.
المقريزي، تقي الدين. (1996م). *اتعاظ الحنفاء*(ط2). المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
النعمان القاضي، ابن حيون. (1986م). *افتتاح الدعوة* (ط2). الشركة التونسية للتوزيع.
النعمان القاضي، ابن حيون. (1963م) . *دعائم الإسلام*. *دار* المعارف.

النعمان القاضي، ابن حيون. (1996م). *المجالس والمسايرات*. دار المنتظر.
العبادي، أحمد مختار. (د. ت). *في التاريخ العباسي والفاطمي*. دار النهضة العربية.
العقاد، عباس محمود. (د.ت). فاطمة *الزهراء والفاطميون*. دار الكتاب العربي.
الفقاري، ناصر بن عبد الله. (1998م). *أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية* (ط3). دار الرضاء للنشر والتوزيع.
الصادق، عبد المنعم محمد. (2014م). *في تاريخ المغرب الإسلامي. دراسة للحياة السياسية والاقتصادية بإفريقية. دار* الفكر العربي.
القلقشندي، أبوالعباس أحمد. (1915م). صبح *الأعشى*. دار الكتب السلطانية.
الرافعي، مصطفى. (1988م). حضارة *العرب* (ط4). دار الكتاب العالمي.
الشهرستاني، أبو الفتح محمد. (1998م). *الملل والنحل* (ط2). دار المعرفة.
التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد. (1981م). *رحلة التجاني*. الدار العربية للكتاب.
التليسي، بشير رمضان. (2003م). *الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال ق4هـ/ ق10م*. دار المدار الإسلامي.
الخميس، عثمان. (د.ت). *حقبة من التاريخ*. دار الإيمان للطبع والنشر.
الذهبي، شمس الدين. (1988م). *تاريخ الإسلام*. دار الكتاب العربي.
الذهبي، شمس الدين. (1996م). *سير أعلام النبلاء* (ط11). *مؤسسة الرسالة*.
زيتون، محمد محمد. (1988م). *القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية*. دار المنار للطبع والنشر والتوزيع.
زكي، محمد حسن. (1981م). *كنوز الفاطميين*. دار الرائد العربي.
حمزة، عبد اللطيف. (2001م). *الإعلام في صدر الإسلام*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
حسن، حسن إبراهيم. (1981م). *تاريخ الدولة الفاطمية* (ط2). مكتبة النهضة المصرية.
مجاني، بوبة. (2010م). *النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي*. دار بهاء الدين ودار عالم الكتب الحديث.
عبد المقصود، أحمد محمد. (2014م). *الدعاية السياسية والإعلام المذهبي في المغرب والأندلس*. مؤسسة شباب الجامعة.

عياض القاضي، ابن موسى السبتي. (1981م). *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب، الإمام مالك*. طبعة وزارة الأوقاف.

رمضان، عاطف منصور. (2004م). *نقود الخلافة الإسلامية*. دار القاهرة.

خضيري، حسن. (1996م). *علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب*. مكتبة مدبولي.